شؤوننا الأخلاقية

المدينة وطننا الأصغر

توفى منذ سنوات رجل ثرى من سكان مدينة جلاسجو فى اسكوتلانده . وقبل أن يوافيه الأجل كتب وصية أودعت أحد البنوك للعمل بها بعد وفاته . وهذه الوصية تنص على وقف مال يحفظ بهذا البنك، وتؤدى فائدته التى تبلغ كل ثلاث سنوات ألف جنيه الى أى شخص يكون قد خدم هذه المدينة أية خدمة سواء ببناء مبنى جميل فيها، أو بزيادة الرفاهية للسكان ، أو بزيادة الوسائل الثقافية ، أو بابراز المدينة فى عمل شريف يعود عليها بالفخر ويسجل لها مجدا فى التاريخ . وهذا المحسن الذى يقدر ما أوصى به الى الآن بمبلغ ٤٠ ألف جنيه لم يبح باسمه فبقى مجهولا حتى اليوم .

وعبرتنا من هذا المثال أن نعرف بل نحس هذه الوطنية للمدينة ، فان هذا الرجل عاش فى مدينة جلاسجو فأحبها وامتزجت عواطفه بمجدها وتاريخها فشاء ألا يموت قبل أن يرضى ضميره بخدمتها وزيادة رفاهيتها وجمالها ، ونستطيع أن نتخيل حياة هذا الرجل وهو يعيش ليمارس عمله فى جلاسجو ، فان عاطفة الولاء لمدينته كانت يقظة متنبهة طيلة حياته فيها . فكان يشترك فى كل نشاط يتصل بتاريخ هذه المدينة أو صيانتها أو تجميلها أو رفاهيتها . فهذا حى يعيش فيه الفقراء وتكثر فيه المنازل المزدحمة البالية المتهدمة ، فهو يسعى لإحيائه بايجاد المتنزهات فيه وتأليف شركات البناء لترميم منازله وتجديدها ، وهذا حى آخر قد حرم من مكتبة عامة بالمجان ، فهو يسعى لإيجادها بالتبرعات العامة، وهذا طريق يحتاج الى التعبيد فهو يحمل أعضاء المجلس البلدى على العناية به وهلم جرا .

إننا فى مصر نحس الوطنية المصرية والولاء للوطن الأكبر . ولكننا قلما نذكر هذا الوطن الأصغر أى المدينة . لذلك نعيش ونحن بعيدون عن الروح الاجتماعى للمدينة . فاذا بنينا منزلا لم نبال النسق العام فى الشارع . ولذلك تنشأ المنازل وهى مختلفة الأطرزة . هذا بناء شامخ كأنه الجبل، وذاك منزل متطامن كأنه الكوخ، وهنا بيت قد شيد طبقات متوالية لغرض تجارى، وآخر قد بنى لتحقيق هوى خاص فى نفس صاحبه . وهذا الاختلاف يفقد المدينة شخصيتها ويحيلها مجموعة غير متناسقة من المساكن قد ضربت الفوضى على أزيائها البنائية فهى بلا جمال وبلا نظام .

ونستطيع أن نعلل كثيرا من هذه الفوضى فى البناء بأننا نحن الأفراد لا نحس الروح

الاجتماعى أو الوطنية المدينية، فليست فينا تلك العاطفة التى بعثت ذلك الاسكوتلاندى على أن يرصد هذا المبلغ الضخم لمكافأة من يخدمون مدينته . بل ليست عندنا تلك العاطفة التى لا تكلفنا مالا ولكنها تكلفنا عناية وحرصا على صيانة المدينة وجمالها .

لقد يبلغ الاهمال بنا أن نجد فى شوارعنا نفاية التقصب والخس وقشر البرتقال والموز وقصاصات الورق . ومع أن لدينا القانون الذى يمنع هذا الاهمال فان الجمهور لا يعنى بصيانة المدينة ، ولذلك يشق على رجال البوليس أن يقوموا وحدهم بها . ولعل القراء يعجبون إذا علموا أن إلقاء ورقة الترام فى الشارع يعد " مخالفة " فى كثير من المدن الأوربية . وأنه من مدة قريبة اقترحت إحدى الصحف أن الذى يلقى ورقة الترام فى الشارع عليه التقاطها وذلك غيرة منها على صيانة المدينة .

ثم هناك متنزهاتنا العامة التى لا تلقى من الجمهور الرعاية التى تستحق . فكم من زائر لهذه الحدائق لا يتورع عن قطع زهرة يزين بها صدره أو يتشممها ويداعبها بيده مع أنها ملك عام للجمهور لا يجوز لواحد منه أن ينفرد بها . ومن المناظر المألوفة فى الحدائق الأوربية أن يجد المتنزه لوحة قد كتب عليها " إن صيانة هذه الحديقة موكولة الى الجمهور " فليس لها حارس سوى أفراد الجمهور الذين يعرفون واجبهم وتأديب المخالفين .

ومما كثرت الملاحظة له إن مظاهراتنا سواء أكانت للتعبير عن الفرح أم الغضب تنتهى بتحطيم أعمدة المصابيح وأشجار الشوارع كأن المدينة ليست مدينتنا وكأننا نحب أن نراها محطمة مهدمة . وقليل من التفكير يبين لنا خطأ هذا السلوك الذى يجب أن تستفيض بيننا النصيحة بشأنه حتى يحس الجمهور واجباته نحو مدينته ويكون على الدوام يقظا مستعدا للدفاع عنها .

إن بيوتنا لن تستكمل الجمال والنظافة والصحة ما لم يكن ما يحيط بها من المنازل على مستواها فى هذه الأشياء . ولذلك يجب أن تدعونا حتى أنانيتنا إلى أن نطلب نظافة المنزل بنظافة المدينة ، وجمال واجهته بجمال الشارع ، وصحة سكانه بالصحة العامة فى المدينة . واذا كان فى مستطاع من يقيم قصرا فى حقل ألا يبالى هذا الحقل فان هذا ليس مستطاعا لساكن المدينة إذ هو يمرض بأمراضها ويصح بصحتها . وهو يلابس جمالها وقبحها ويستمتع بنظافتها ويتأذى بقذارتها . ولذلك يجب علينا جميعا أن نسعى لترقية المدينة التى نعيش فيها وأن نقرن إلى مجهود الحكومة مجهود الفرد، وبهذا وحده ترقى مدننا ويعود كل فرد منا حارسا على هذا الرقى وراعيا له بل هو عندئذ يتكرفيه ويبذل ماله ويرصد له الأوقاف ويفخر بإنشاء المؤسسات التى تزيد شأن المدينة فى الخدمة العامة .

وعاصمة بلادنا — القاهرة — ليست فقط أكبر مدينة فى مصر، بل هى أكبر مدينة فى أفريقيا وعسى أن يكون فى مستطاعنا أن نقول إنها أيضا أجمل مدينة فى هذه القارة .